الدين والإسلام مصدر رئيسي في بناء الحضارة وتقدمها
Religion and Islam are a major source of civilization and its advancement

الباحث/ حمودة أحمد إسماعيل محمد

ملخص البحث

إن الإسلام بدعوته يريد للإنسان ألا يبقي أنانياً ، إذ بقاؤه أنانياً هو بقاؤه في مرحله الطفوله البشرية ... يريد له أن يكون إجتماعياً، إذا صيرورته إلي كائن إجتماعي يجعله ذا رشد في إنسانيته .

إن دعوه الإسلام (محاولة لنقل الإنسان من دائرة التصرف الغريزي إلي دائرة التصرف الإنساني ..) والغريزة تدعوا دائماً إلي الإحتفاظ بالذات والحرص علي الذات، وتركيز النظرة في محيط الذات – بينما التصرف الإنساني هو تصرف يمتد إلي ما وراء الذات، ويخرج بالنظرة من محيط الذات إلي محيط الأفراد .

واذن فالمجتمع في قيامه ، وفي بنائه وفي بقائه سليماً قويا ... هو غاية الدعوة الإسلامية، فإن دعا الإسلام إلي الإحتفاظ بالحرمات، ونفر من الإعتداء علي ما للأفراد من نفس ومال وغرض ... فإنما يدعو إلي النظرة الإجتماعيه والتخلص من النظرة الفرديه، وهي تلك النظره التي تتصل بالذات وحدها دون غيرها .

Abstract:

Islam calls for unselfishness for human as if man is still selfish it means he is still in the childish stage. Wants him to he social.

Islam's call tends to transfer man from his sexual to human's behavior Humans behavior's point of view is comprehensive and calls for community leaving behind individuality.

The Religion of Islam depends on Keeping properties and never attack individuals. It also calls for social point and neglects individual one
Islam is the main source in building civilization and its development.

To sum up, our speech for religion civilization Islam urges man to think and respect its will With This has a good relation for Islam with human civilization

To sum up human civilization is resulted on human production and contraption in philosophy, law the state, society systems, arts literature, manners and behaviors.

If all previous are far from deviation and prejudice, it has a great development for establishing civilization.

To sum up our speech, man's worships and treatments aims at preventing him from deviation and this is in his from deviation and this is in his emotion, behavior and work in life.

Islam is considered the main source of human civilization and Islam is civilized religion as it urges man to produce in different civilization fields and all these express about civilization.

Man who has straight thinking emotions and behavior should aim at good and exploit all these things.

Religion basically calls for progress and we should agree that progress in humanity and avoid all which affects that progress means: Man should grow naturally to reach the stage which explain and means of development. Man should grow in all natural stages normally.

If man stands still in his growing in body, he will be unwariness for the human qualities.

*** Islam's principles are depending on social side of man.**

1- Based on awareness (man's relation with other)
2- Transfer a wariness to behavior (Practical behavior depends on relations)

مقدمة البحث

- إن الاسلام وحدة يباهي – وهو الذي حمل العرب رسالته إلي الكون- بأنه أول دين أدخل التوحيد إلي العالم، وهذا التوحيد هو سر سماحة الإسلام وبساطته، وهو أيضا سر قوته، فما أسهل إدراك بناء الإسلام، وهذه السهوله هي التي جعلته خاليا مما نراه في الديانات الأخري من متناقضات وغوامض.

- فلا شئ في الإسلام أكثر وضوحا من أصول الاسلام القائلة، بوجود اله حتي وإن كان راعي غنم – أمي – يعيش عيشة البادية البسيطة، رايته يعرف جيدا ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الاسلام في سهولة ويسر.

- عكس النصراني – وإن كان مثقفا واسع الإطلاع – فإنه لا يستطيع حديثا عن ذلك التثليث الغامض الذي لم تنفق علي مفهومه – حتي الآن – أي من المذاهب المسيحية التي لا يجمعها إلا الاسم فقط ، ولا الطوائف البالغة التي بلغ عددها في أحد المذاهب – الإنجيلي / البروتستانتي – 500 طائفة .

- **فهذا ميخائيل سرفيتوس :** طبيب إسباني ولد في أوراجون 1509م، عن أخطاء هذا التالوث الذي تقوم عليه الديانة المسيحية، هبّت عليه عاصفة عاتية من السخط، فهرب إلي فرنسا وعاش هناك باسم مستعار.

- فلما كشف يوحنا كالفين – أحد أشهر زعماء المذهب البروتستانتي / الإنجيلي – عن اسمه الحقيقي قبض عليه و أودع السجن في جينيف، وهناك أحرق حياً 1553 ومعه كتابه **" إعادة بناء المسيحية "**، الذي كان قد نسب فيه اكتشاف الدورة الدموية الصغري لنفسه، التي سبقة في اكتشافها بثلاثة قرون ، العالم العربي ابن النفيس الذي قيل في مكانته العلمية : **" لم يوجد علي وجه الأرض قاطبه مثله ، ومنذ ابن سينا لم يوجد أحد في عظمته ".**

- ولقد ساعد الوضوح البالغ للإسلام ، وما أمر به من العدل والإحسان، علي إنتشاره بين الشعوب النصرانية ، كالمصريين الذين كانوا نصاري زمان حكم قياصره بيزنطة **(الإمبراطورية الرومانية الشرقية – الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تحكم من عاصمتها القسطنطينية اعتباراً من 395م)**، فصاروا مسلمين حين عرفوا بساطة الإسلام وسماحته .

- **فلما دخلت أوروبا عصر النهضة :** في منتصف القرن 15 م انتهجت منهجا معاكسا، وهو المنهج العقلي البحت الذي يناهض الدين، وفي سبيل ذلك رفعت شعارها الأشهر : **" لا سلطان علي العقل إلا العقل "** ولذلك فقد عرفت الحضارة الغربية في طورها اليوناني : عقلانيه مجرده من الدين، وفي طور نهضتها الحديثة : عقلانيه مناهضة للدين .

- **لكن الحضارة الإسلامية:** تتميز بالعمق الديني فيها، فالدين والحضارة في الإسلام متلازمان لا ينفصلان، وصنوان لا يجور أحدهما علي الأخر، ولذلك فقد سلم الاسلام من الاباحه في الأخلاق ، التي انحدرت إليها الحضاره الغربية المعاصرة، حين أباحت الشذوذ الجنسي، بل تجاوزته لأكثر من ذلك حين قننته أكبر 10 دول أوروبية حديثة، وهي بداية النهاية لحضارة لا تقيم للدين اعتباراً، ولا لمنظومة القيم والأخلاق وزنا.

- ولقد علا شأن **"العقل المؤمن"** في الإسلام، بغير تعارض بين هدايات العقل وهدايات الدين، باعتبار أن العقل : هو وسيلة الإنسانية جمعاء للهدايه للإيمان بالله، فأصبح العقل المؤمن وسيلة للبرهان علي صدق الإسلام ، بل هو السبيل الأول، ومفتاح الايمان بالحق جل وعلا .

- ويصور لنا الأمر ، حجة الإسلام الإمام : أبوحامد الغزالي (المتوفي 505هـ -1111م) ، تصويرا مدهشا، فيشبه لنا العقل بالبصر، والشرع بالضياء، فمن كان له عقل بلا شرع، فهو يبصر لكنه يسير في الضياء ، فلا قيمه عنده للشرع .

- ولقد توالت علي قرون اسلامنا الحنيف ، نخب من الأئمة الأفذاذ، يؤكدون المعني الواضح في التشبيه المبدع الذي ساقه الينا حجة الإسلام – رضي الله عنه – فعندما تجاوز المسلمون حقبة التراجع الحضاري، وتبلورت مدرسة

الاحياء والتجديد، التي قادها صاحب الفضيله الإمام : محمد عبده (المتوفي 1323هـ - 1905م)، تالقت العقلانيه الإسلامية المؤمنه، دون تأليه لعقل يغني عن الشرع، أ, يفتعل التناقض معه، ويؤكد المعني الذي ساقه إلينا حجه الإسلام:

" لا قيمة للبصر بغير ضياء، ولا نفع في الضياء بغير البصر "

- فلم يعرف الإسلام بذلك تناقضا بين العقل والنقل ، وكذلك الذي تبنته وانتهجته الكنيسة الكاثوليكية إبان سنوات حكمها الحالكة السواد للمجتمع الاوروبي ، كما سلم الإسلام من وصمة : عقلانية مجردة من الدين، كالتي تنتهجها الآن الحضارة الأوروبية المعاصرة. فالحمد لله حمد مباركا فيه، كما يجب ربنا ويرضي، علي نعمه الاسلام، وكفي بها نعمة.

- ولقد تبدلت تركيبة المجتمع الأوروبي حديثا، وتنبأ النابهون من علمائه بانتشار الاسلام في اوروبا ، وكثر المنصفون فيه من العلماء الأعلام ، فابدع د.جوستاف لوبون ، رائعته : "حضارة العرب"، كما أبدع د.مايكل هارت ، أنفس كتاب أوروبي حديث :

"الخالدون مائه ، أعظمهم محمد "

- وعلي درب الانصاف الغربي الحديث ، يقول عالم الاجتماع الإيرلندي الفذ : برنارد شو (1856 : 1950) ، عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

" إن محمد هو منقذ الإنسانية، وإنني أعتقد أن رجلا كمحمد، لو تسلم زمام الحكم في العالم كله اليوم، لتم له النجاح في حكمه ولقاده الي الخير، وحل مشكلاته حلا يكفل للعالم السلام والطمأنينة والسعادة المنشودة" ، كما راح د. برنارد شو يقول :

" لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لديها اليوم ، ولقد بدأت اوروبا تعشق عقيدة محمد ، وان تحول اوروبا إلي الاسلام قد بدأ ، وفي القرون القادمة : قد تذهب وان تحول لأبعد من ذلك ، فتعرف بفائدة هذه العقيدة في حل مشكلاتها"

- **ولو أن الحضارة الإسلامية اليوم**، قد انتظمت الحياة ، انتظام الحضارة الغربية السائدة في العالم الآن ، لتبدلت الانسانية غير الانسانية ، ولانهارت مبادئ لا نفع فيها، يؤمن بها الكثيرون في عالم اليوم، ولقامت في ربوع الكون مبادئ سامية، تكفل معالجة أزمات العالم ، علي هدي من القرآن الكريم ، وسنة نبي الإسلام ورسوله (صلي الله عليه وسلم):

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي – بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بت فعر بت مالك – بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مضر – بن نزار بن معد بن عدنان بن أجج خفيد يعرب بن يشجب بن نباط بن اسماعيل بن ابراهيم – عليهما السلام.

- **ولو أن العالم استظل اليوم بحضارة الإسلام** ، علي ضوء ما صورها القرآن الكريم، وبينتها السنة الشريفة ، لتجنبت الانسانية الكثير مما ترزح تحته من أهوال الشقاء، لأن حضارة الإسلام، تخاطب القلب والعقل معا، وما كان في عهده (صلي الله عليه وسلم) وفي الصدر الأول من الإسلام، ينهض دليلا علي ذلك.

مفهوم الدين

مفهوم الحضاره في تطبيقها أن الحضاره هي بناء إنساني ، يرتفع فوق الأنانيه وفوق البيئه الخاصة وفوق الشعب وفوق الجيل، ويعاصر الأزمان كلها ويلائم الناس جميعاً فيما لهم من معان وقيم إنسانيه .

هناك صله وثيقة بين مفهوم الحضاره وبين الدين ... علي معني (أن الدين ذو أثر في قيام الحضارة وفي توجيهها، لأن الحضاره إنتاج إنساني والدين إيمان وعقيدة لدي الإنسان يتأثر وينفعل بما فيها يفكر وفيما يحدد علاقته بالآخرين وفيما يسلك).

مفهوم الدين : أهو أقوال العلماء بـه والشراح لرسالته ؟... أهو نظام تلتزم بـه جماعه دينيه معينه وتحاول أن تفرضه فرضاً علي الإنسان المؤمن دون أن يكون له شأن ورأي فيما يُقال ويؤمر به، ودون أن تكون لـه وقفة خاصة يقف عندها ليتدبر وليتروي حتي تكون طاعته عن علم واقتناع ؟؟

إن الدين ليس هذا ولا ذاك ... لأنه لو كان هذا أو ذاك لكان من صنع البشر، ولكان اعتباره عندئذ مقصوراً علي المئولين والشارحين له، أو علي المخططين لنظامه، ولكان هذا الاعتبار مقصوراً ايضاً علي الجيل الذي نشأ فيه الشرح والتأويل، أو وضع فيه هذا النظام الخاص .

(إن الدين هو ما كان لله، وما كان عند الله ... ومفهوم الله ليس شخصاً وجد في زمن دون زمن، وتأثر بيئه دون بيئه أخري ... إنما مفهوم الله حقيقه أبديه خالده ترتفع فوق المستويات وتتجرد عما للكائنات جميعها من صفات ... هو الكمال المطلق في ذاته) . وصفاته جل شأنه سبحانه وتعالي يقصر عقل الإنسان عن أن يحددها علي نحو ما هي عليه، وأن يصل إلي تصويرها في تعبيره وفي شرحه إلي واقع أمرها .

وهذه الحقيقه الأبديه الخالدة، وهذا الكمال المطلق، هو الذي نسب إليه الدين... يوحي به إلي من اصطفاه ويكلفه بتبليغه إلي الناس . والدين بعد ذلك هو ما أُنزل من عند الله للناس جميعاً، وما طلب من الرسول إبلاغه إليهم حتي لا يكون علي الله حجه بعد الرسل .

وإذا كان الدين هو المنزل من عند الله الحقيقه الخالده الكامله كملاً مطلقاً فلا يكون إلا صورة من هذا الكمال ، لا يشوهها نقص ،ولا يعتريها باطل ،ولا ينفذ إليها غرض يميز فريقاً عن فريق ويفصل بين جيل وجيل .

واذا كان من مفهوم الدين أيضاً أنه ما يجب اتباعه بعد الإيمان به ، وتجب لـه الطاعه بعد التمسك بـه – وكانت قبل ذلك صورة من كمال الله جل شأنه- فاتباعه والسير علي هداه يحقق حتماً الإستقامه في سلوك الإنسان المتبع المؤمن به ، وفي تفكيره وفي وجدانه، وفي صلاته علي الآخرين معه – لأنه يستحيل أن يؤدي الكمال إلي نقص، كما يستحيل أن يستتبع الحق باطلاً.

إن بعض الناس ينكر وجود الله وبالتالي يرفض قبول الدين ... ولكن نقطه البدايه فيما يجب أن يفعل إزاء الدين هو أن يفتش في الدين من حيث هو دين ، فإن استبان أنه فوق مستوي الغايات الشخصية ، وفوق مستوي البيئات والأجيال والشعوب ... علي معني أن ما فيه من خطوط عامه ترسم الطريق المستقيم الصالح للإنسان ، ومن حيث طبيعته البشريه ، بغرض النظر عن الوقت الذي يعيش فيه، وعن الشعب الذي ينتمي إليه ، وعن البيئه التي يتأثر بها ... إن استبان ذلك وجب الوصول قطعاً بالمنطق الإنساني إلي أنه لم يكن من صنع إنسان معين . و إذا لم يكن من صنع إنسان معين ، فهو حقيقه متجرده فوق طبيعه الإنسان ، وتلك الحقيقة هي الله أو الكمال المطلق . وهنا يكون الإيمان بالله بعد بحث في الدين وقيمته . ولكن ليس الدين - كما ذكرنا – هو شرح العلماء المؤلين ، ولا صنع طائفه معينه من رجال ينتسبون إليه. وإنما هو الذي يسمو فوق ذلك ، ويتصل بتلك الحقيقه المجرده الخالده .

* * *

مفهوم الدين إذن أنه هو ما أوحي به الناس من قبل الله لتحديد الطريق المستقيم لهدايتهم في سلوكهم، وفي تفكيرهم وفي علاقه بعضهم ببعض ... وهو ما يجب الإيمان به ، وما تجب الطاعه له . لا يقف مفهوم الدين عند حد العلم به ، وبما جاء فيه ، وإنما يجب أن يتجاوز العلم إلي الإيمان . والعلم والإيمان بـه إذن كلاهما عنصران ضروريان في حقيقه الدين ، وبالتالي في مفهومه ... والتلازم بين العلم والإيمان في مفهوم الدين هو الذي يجعله متفاعلاً مع مبادئه في السلوك وفي التفكير والوجدان .

(وبغير العلم ، أو بغير الإيمان ، يكون الدين خطراً علي حياة الإنسان ... فليس أشد علي الإنسان ضرراً وعلي من معه في مجتمعه من أن يكون المتصل بالدين جاهلاً به أو منافقاً لم يدخل الإيمان به قلبه بعد).

وأكثر المتشككين في قيمه الدين ، بل و أكثر المطالبين بإبعاده عن حياه الإنسان ، هم اولئكم الذين عرفوا الدين من الجاهلين به ، أو من المنافقين الذين يتخذون الدين مدخلاً لمغانم يحصلونها في الحياه .

والإسلام كدين يوجب علي المؤمنين به دائما - كي يكون للإسلام أثرة الإيجابي في حياتهم، أو تفكيرهم أو في علاقات بعضهم ببعض - أن يرجعوا إلي مصدره الأصيل إذا وجدت ظاهره في مجتمعهم تنبئ عن الخطر أو عن الضعف والوهن ، وهي في واقع أمرها تعود للإنسان المتصل بالدين قبل أن تعود إلي الدين نفسه فإذا نفسه فإذا قال الله تعالي :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء :59)

فإنه يأمر بذلك ليرفع وساطه الإنسان وليؤمن الطريق من أن يكون المشير إليه بعيداً عن الدين ، إما في فهمه ، أو في الإيمان به ... فالآيه توجب الطاعه لله ، أي بكتاب الله ، و توجب الطاعه كذلك لرسوله ... وطاعه الرسول لأنه مبلغ لكتاب الله و وحي الله معصوم عن الخطأ .

فرسالته عندئذ تعبير صادق عما أوحي إليه وعما نزل في كتاب الله. وتوجب أخيراً الطاعه لأولي الأمر – وهم أصحاب العلم بكتاب الله وما دعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم الذين توفروا علي فهم كتاب الله وما نزل من الحق ... وطاعة هؤلاء واجبة فيما لا يخرج عن الكتاب وعن دعوة الرسول. وما جاء به الكتاب، ودعا إليه الرسول، لم يكن إلا هدايه بالحق وتمسكا به، ودعوة للوحده وعدم الفرقة وللقوة في جميع صورها ونبذ الضعف في جميع أشكاله ... فإن ترتب علي إفهام هؤلاء نزاع يهدده قوة المسلمين في وحدتهم وفي تماسكهم، فعلي المسلمين أن يعودوا رأساً إلي كتاب الله ، وإلي سنه رسوله، ويتجاوزوا أقول هؤلاء إلي ما نزل بالحق ودعا إليه الرسول . وهذا معني قول الله في هذه الآيه :

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)

(النساء : 59)

* * *

إذا كان الدين هو ما لله في كتابه ، وإذا كانت الغايه من الدين هي استقامه الإنسان - كل إنسان - في سلوكه وفي تفكيره وفي علاقته بالآخرين، فلا شك أن الإنسان صاحب الإيمان وبالتالي صاحب الإستقامه سيكون اسهامه في بناء الحضاره ليس اسهاماً قوياً فحسب ، وإنما إسهاماً حضارياً صافياً يعبر عن الحضاره في أجلي صورها . وهنا يبرز السؤال التالي : ألذلك من مثل أو أمثلة تؤيد ما نقول . إن ذلك ما سنتناوله في حديثنا عن الإسلام كدين .

الدين في حياة الإنسان

تطور الإنسان من حياه الغابه والغاب، إلي حياة القانون أو حياة المدنيه ... تطور من حياة القوة الماديه، وتحكيمها في فض الخصومات واستقرار الأوضاع إلي الالتجاء إلي القانون في الفصل في النزاع وتحديد العلاقات .

فالنقطة الأولي التي منها بدايه الحياة الإنسانية ، كانت الغلبة عن طريق العصبية في الأسرة والقبيلة والكثرة العدديه في الجماعة. والنقطة التي تسود حياة اليوم هي موازين العقل الإنساني التي تمثلها فكرة القانون البشري، وبين هاتين النقطتين في تطور الحياة الإنسانيه كان الدين، وكانت الفلسفة ... كل منهما مثل الدور الأول في فترة معينه في تاريخ الإنسانيه، ولم يزل يمثل دوراً هاماً للآن .

انتهت مرحلة الغاب بسيطرة الدين، ثم نازعت الفلسفة سيادة الدين ، ثم قيض للقانون أن يشترك في الصراع بين الدين والفلسفة في توجيه الإنسان، وأصبحت في حياة الإنسان المعاصر ثلاثة اتجاهات ، تتنازع أولاً البقاء بينها، ثم يحاول

بالتالي كل واحد منها أن يسود في تقرير مصيرر الإنسان. أصبح الدين ، والفلسفة، والقانون ، ثلاثتهم جميعاً من المصادر التي يحارب بعضها بعضاً من أجل البقاء والسياده. والفرق بينها يتركز في أن الدين ينسب إلي الله المعبود، بينما الفلسفة القانون كلاهما بعد من صنعة الإنسان .

أما غاية كل واحد من الثلاثة فلا تكاد تختلف عن غاية الآخر : فالدين يهدف إلي توضيح الطريق الذي يري فيه سلامة البشرية في التعايش معاً ... والفلسفة تحاول ذلك والقانون بدوره يقوم علي حفظ الأموال التي تراها الجماعه الخاصة، أو المجموعه الدوليه ، كفيله بصيانة التعايش المشترك والتعاون المثمر.

ولكل مصدر من هذه المصادر التوجيهيه نفر خصص وقته وحياته لتوضيح القيمة الذاتيه للمصدر الذي ينتسب إليه، علي اعتبار أنه وحده كفيل بالتوجيه السليم، وبتحقيق الغايه المرجوة في حياة الإنسانية : للدين طائفة تبين مزاياه ، وللفلسفة طائفة وتوضح مزاياها، وللقانون طائفة تحرص علي بيان مزاياه في التوجيه العام .

الدين قد يصبح فلسفة ... وقد يصبح قانوناً وتشريعاً :

فالدين قد يصبح فلسفة إذا حاول العقل الإنساني أن يبرر ويعلل مبادئه من الوجهة النظرية العقلية ... فليست الفلسفه إلا التعليل العقلي للموجود. فإذا علل الموجود من مبادئ الدين، فقد دخلت هذه المبادئ في نطاق العمل الفلسفي .

وقد يصبح الدين أيضاً قانوناً إذا أخذ في تطبيق مبادئه علي أحداث الحياة، وسلوك الإنسان، و وصفت الأحداث أو وصف السلوك الإنساني بأنه يطابق تلك المبادئ .

وعندما يؤخذ في تطبيق مبادئ الدين علي أحداث الحياه وسلوك الإنسان، لا يكتفي في التطبيق بحكم مجرد عن التعليل ... بل لا بد من التفقه ، وشرح المبادئ نفسها، ثم شرح النوع الملائم وغير الملائم لها من أحداث الحياة وسلوك الإنسان، فهذا التفقه أو هذا الشرح هو القانون الذين ينتزع من الدين، أو صار الدين إليه.

والدين إذا أصبح فلسفة أرضي رجال العقل والفلسفة. وإذا أصبح قانوناً جذب إليه إليه رجال الفقه والقانون . ومع أنه يمكن أن يصبح فلسفة، فإنه لا يتحول إلي فلسفة كتلك التي أنشأها الإنسان بصنعته العقليه بادئ ذي بدء . ومع أنه أيضاً يمكن أن يصبح قانوناً فإنه لا يتحول إلي قانون كهذا الذي شرعه الإنسان و وضعه بتقديره الخاص منذ البدايه . بل تبقي لفلسفة الدين وقانون الدين، وقانون الدين، خصائص الدين أو طابعه العام. وخصائص الدين أو طابعه العام، أنه موحي به من الله، وأن علي الإنسان أن يؤمن به وأن يطيعه في غير تردد، وفي غير شك ... عليه أن يرضي بع رضاءً نفسياً ، وإن لم يدرك كل أسراره وعلله ؛ لأنه من الله الذي يختلف عن الإنسان، وفوق الإنسان ... هو من صاحب الأمر، وصاحب الرعايه العامه، والذي لا يستطيع الإنسان أن يحدده ويدرك حقيقة ذاته عندما يتصوره .

والفلسفة قد تصبح عقيده وقد يصبح القانون عقيدة أيضاً ... ولكن إذا أصبحت الفلسفة أو القانون عقيدة، فإنه لا يصير إلي طبيعة الدين السابقة، وإنما يصير إلي طبيعة التقليد أو العرف في الجماعه... لا يصير أحدهما إلي طبيعة الدين لأنه صنعة الإنسان، وسيبقي كونه من فعل البشر مصاحباً له في صيرورته ... وإنما يصير فقط إلي طبيعة التقليد ، أو طبيعة العرف في الجماعة من حيث إنه واجب الاتباع ... فقد أصبح عندئذ من المتوارث والمألوف في الجماعه .

وإذن هناك فرق جوهري بين الدين من جانب ، والفلسفة والقانون من جانب آخر ... هناك في جانب الدين كونه من الله، وهنا في جانب الفلسفة أو القانون كون كل واحد منهما من الإنسان : أن يفعل الخير، كما ناشدت الفلسفة، أو استهدف القانون... فالفرق مع ذلك باق بين الدين من جانب، وبين الفلسفة والقانون من جانب آخر، إذ مطلوب الدين – وهو فعل الخير- قائم علي أنه من هدايه الله، بينما مطلوب الفلسفة أو القانون يرجع إلي أنه من تأمل الإنسان .

وهنا تنحصر الموازنه بين الله و الإنسان في تحديد الخير، ورسم طريقه وتحديد الجزاء الذي يناط بفعله أو تركه: (والله باعتبار أنه رب الجميع، ومستغن عن الجميع، ومستعل علي الجميع - يحدد الخير بما فيه مصلحة الجميع، ويرسم طريقه، بما يكون ميسراً للجميع، ويحدد الجزاء علي فعله وتركه، بما يناسب في آثر هذا الخير في صالح الناس جميعاً، ويلتئم مع طبيعة أنفسهم الغاليه) .

وليس لله غرض، وليست له حاجة قريبة أو بعيدة في تحديد الخير الذي ينصح باتباعه، وكذلك لم يتأثر بأي مؤثر في هذا التحديد ... ولأنه يعلم طبيعة البشر حق العلم، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

ويكون فيما يرسمه لطريق الخير، متفقاً تمام الاتفاق مع إمكانيات هذه الطبيعه ، كما يكون تحديد الجزاء ملائماً كل الملاءمة لنفع هذه الطبيعة من فعل الخير ، ونفعها أيضاً من تجنب الضرر الذي نهي عنه.

(أما الإنسان في فلسفته وتقنيته فهو محدود بالبيئة، ومحدود بالوراثة، وبنوع الثقافة ونوع المعرفة ...) فإنسان القريه غير إنسان المدينه في إدراكه للحياه وتعبيره عنها .

وإنسان الأسرة الصالحة غير إنسان الأسرة التي عاشت في الإنحراف و الإجرام، في تصور القيم الأخلاقيه والروابط الإجتماعية ... والإنسان الجاهل في تصوره واعتقاده، غير المستنير في إدراكه وفي إيمانه .

وإنسان المعرفة من نوع خاص غير إنسان المعرفة من نوع آخر... فالطبيب غير المهندس ، وكلاهما غير صاحب الثقافة الزراعيه ، وجميعهم غير رجل المحاسبة ، وهلم جزاً .

وإذا كان الإنسان محدوداً بهذه المصادر فهو منفعل بها، وتنعكس هي بالتالي في سلوكه، وفي تفكيره، وفي تحديده للحياة وأهدافها...هو وليد هذه العوامل الثلاثة.

فما يصدر عنه في أي جانب، في التصرف والسلوك، أو التفكير والحكم، يكون تبلوراً لهذه العوامل الثلاثة.

وعليه فالإنسان صاحب الفكر الفسفي في تحديد الخير : ما هو ؟ يتأثر بحياته الخاصة والعامة. وكذلك الشأن في رسم الطريق لتحصيل الخير... ومن هنا تجد بين الفلاسفة تحديدات متنوعه للخير، وكثير منها يناقض بعضه بعضاً، كما نجد رسمهم لطريق تحصيل الخير، لا يقل اختلافاً في التحديد، وعن تحديدهم الخير نفسه .

(نجد من بين الفلاسفة من يفهم الخير علي أنه ما لاءم المصلحة الشخصيه). وتبعا لذلك : الإنسان نفسه مقياس الخير. هذا الانسان الذي يري الخير في تحصيل المتعه البدنيه ... وإن صاحبها اغتصاب لما يملكه غيره، والاعتكاف عن ملذاتها وعما يتنافس فيه الناس من متعها.

فبمقدار ما يندفع الأول إلي تحصيل متع هذه الحياه، التي يراها متعاً من زاويه وجوده الشخصي بمقدار ما يقف الثاني موقفاً سلبياً من هذه المتع، والإنسان الأول هو الإنسان الشخصي أو الوجودي، والثاني هو الزاهد البرهمي أو(الصوفي).

(وبينما نجد بين الفلاسفة أيضاً من يحدد الخير، بأنه ما أصابت منفعته أكبر عدد ممكن من الناس وهو الفيلسوف المثالي، إذا بنا نجد فيلسوفاً آخر يحدد الخير، بأنه : ما أصابت منفعته الجماعه الخاصة به أو بأمته ، وهو الفيلسوف الواقعي).

(نجد من بين الفلاسفة من يري أن الغايه تبرر الوسيله)، فإن توقف تحصيل المنفعة علي الوشايه والمؤامرة، أو علي القتل جزافاً وجمله، أو انتهاك العرض، فالوسيلة مشروعه في نظر المستعمر الفرنسي، لأنها ستوصل إلي تمكين الاستعمار هناك من استغلال ثروة البلاد الجزائرية الاقتصاديه والبشرية ... فتمكن الاستعمار غايه، وهي غايه مشروعه لصالح الإستعمار الفرنسي ... فالوسيلة لهذا التمكن الاستعماري مشروعه كذلك بالتالي ... وتاخذ مشروعيتها من النفع المترقب... وإذ نجد مثل هذا الميكيافيللي، نجد فيلسوفاً آخر ينصح بعمل الواجب لذات الواجب ... لعمل ما يجب علي الإنسان لصالح نفسه وصالح جماعته وصالح الإنسانيه، دون ترقب جزاء عليه، و دون ترقب ثناء دبي أو مكافأة مادية، وهذا هو الفيلسوف الواجبي .

(تري من الفلاسفة من ينصح بإفناء الفرد في الجماعه) فتكبت حرية الفرد، ويصادر ملكه، ويجبر علي تصرفه لصالح الجماعه التي هي الأمة ... فالحياة إذن للجماعة لا للأفراد، ثم نري في مقابل هذا فيلسوفاً آخر يري أن الجماعة يجب أن تكون في خدمة الفرد، فالفرد حريته في التجارة، وفي الاقتناء، وفي إبداء الرأي، وفي العقيدة، وفي التمذهب بالمذهب الذي يراه في حياته ... له أن يعيش في ظل عرف المجتمع وعاداته، وله أن يخرج عن هذا العرف، وهذه العادات. وسيان بعد ذلك فقر غيره، أو شقوته، أو جرح عواطفه وإحساساته، والرأي الأول يعرف بالمذهب الإجتماعي أو الإشتراكي، والثاني يعرف بمذهب الحريه الفرديه .

هذه أمثله لإختلاف الفكر الفلسفي، واختلاف المذاهب الفلسفية، ويرجع هذا الاختلاف إلي كون المفكر محدودا بحياته الخاصه الخاصة والعامه.

(وفي القانون لايختلف الأمر عنه في الفلسفة ... لأن التقنين يقوم علي أسس وفكر فلسفية ..) يقوم علي نظرة المشرع (والمشرع هو الدولة في العصر الحديث) إلي الحياة . ونظرة الدولة إلي الحياه تختلف بإختلاف نظام الدولة نفسها :

هذه (دولة شيوعية) لها قانون يحفظ الوضع الشيوعي بين أفراد الأمة.

وهذه دولة رأسماليه لها قانون يصون الحرية الفردية إلي أبعد حد في استخدام رأس المال، وهذه دولة اشتراكيه اجتماعيه لها قانون ودستور يحدد علاقة الأفراد بالدولة والدولة بالأفراد، علي أساس من الفكرة الاشتراكية الاجتماعية، وهي رعايه العدالة الاجتماعية بين الطبقات. وهذه دولة ملكية، يقوم قانونها علي صيانه العرش وتقديسه . وهذه دولة يقوم قانونها علي صيانه العرش وتقديسه . وهذه دولة جهورية يقوم قانونها علي تأكيد حقوق الأفراد في الوصول إلي رياسه الجمهورية.

(هذه الجماعة يهودية) يقوم قانونها علي رعاليه التقاليد والعادات والمعتقدات اليهوديه في الأحوال الشخصية وتحديد العطلات السنوية و أنواع المأكول والمشروب، والطريقة التي يتناول بها المأكل والمشرب ... إلي غير ذلك في الحياة العلمية .

(وهذه الجماعة مسيحية، أو بوذيه، أو وثنيه، أو إسلامية) لابد أن يتضمن قانون كل منها تقاليدها الخاصة وعاداتها، ومعتقداتها التي لها وحدها.

وإذن سبب هذا الاختلاف في الدساتير والقوانين، هو كون الإنسان محدوداً كذلك ... ومن هنا نشأ في القانون ما يسمي بالقانون الخاص، وما يسمي بالقانون الدولي العام. والقانون الدولي مع ذلك يغلب عليه طابع التحيز للدولة القوية وعاداتها وأهدافها في الحياة .

وكذلك (المؤسسات الدولية) كعصبة الأمم سابقاً، والأمم المتحدة في حاضرنا، فإن قوانينها وإن اتسمت بالطابع الدولي العام، فإنها تقوم وتهدف إلي تحقيق غايات الدول الكبري، وهي الدول القوية ... فعصبه الأمم كانت وسيلة مشروعه من الوجهة القانونية لتحقيق استعمار الدول الضعيفة أو الصغيرة عن طريق الأمم الكبري، وما جاء به قانونها مما عرف (الإنتداب) أو (الوصايه) علي بلد ما لدولة كبري، هو نموذج علمي علي تحقيق غايات الدول العظمي باسم القانون العام، وهذه الغايات استذلال واستغلال الدول الصغري لحساب الدول الكبري... وهي انتقاص لحياة الشعوب الضعيفة لرفع مستوي حياة الشعوب القوية.

وهيئة الأمم المتحدة القائمة ليست إلا صورة مكررة لعصبة الأمم السابقة في قانونها، وفي أهدافها ولذلك يوم أن رأت بعض الدول الكبري في الماضي القريب، أن مصالحها الاستعماريه لم تتحقق - لأن أغلبيه الدول الأعضاء في هذه الهيئة عارضت هذا الجشع الاستعماري - أعلنت أنها لم تعد صالحة للفصل في القضايا الدولية، والمشكلات بين الشعوب. ويتجلي هذا في مشكلة قناة السويس في نوفمبر 1956م .

(ولأن الفلسفة نشأت عن محدودية الإنسان ؛ ولأن القانون نشأ علي هذا النحو أيضا - كانت الخصومة المذهبيه طابعاً للفلسفة ، وكانت المفارقات الواضحة في القوانين الخاصة والتفسيرات المتباينه للقانون الدولي العام ، ظاهره مصاحبة للقانون الدولي العام، ظاهرة مصاحبة للقانون الوضعي).

يضم إلي هذه النتيجة - وهي أن الله غير وغير محدد فيما يوحي به لصالح البشرية وأن الإنسان علي عكس ذلك - شئ رئيسي آخر يلحق الفلسفة، ويلحق القانون، وهو أن من يتبع المذهب الفلسفي، أو من يجب عليه أن يطيع القانون (يسير في اتباعه، وفي طاعته، علي أساس أن ما يتبع وما يطاع هنا ليس إلا من صنعة البشر ومعني ذلك ليس فيها عصمه، وليس فيها توكيد للحق أو العدل ... إن هو إلا ظن إنسان، قد أخلص فيما أتي به من صنعة فلسفية، أو قانونية، وهذا الشعور لدي التابع أو المطيع يؤدي إلي عدم التحمس في التزام التبعية و وجوب الطاعه) ... أو يؤدي إلي توقيت التبعيه، وتوقيت الطاعه.

ومن شأن هذا التوقيت، التراخي في السير نحو هدف المذهب الفلسفي، ونحو غايه القانون ... وبما أن هدف الفلسفة وغايه القانون، هي الحرص علي فعل الخير، ففعل الخير سيصير حتماً إلي التوقف كلما كثر التراخي في التبعيه والطاعة ، إما للمذهب الفلسفي أو القانون :

1- (فمحدودية الإنسان إذن عيب في الفلسفه والقانون).

2- (وصنعة الإنسان في الفلسفه والقانون أيضاً سبيل إلي عدم العصمه، وعدم العصمة سبيل إلي التراخي في التبعيه والطاعه)

والنتيجة أن قوة الفلسفة ليست في ذاتها بل في تكرار الدعوة إليها ... وقوة القانون ليست في ذاته، وإنما في السلطة القائمة علي تنفيذه ..

أما الدين فقد خلا من هذين العيبين ... فالله بعيد عن المحدودية، وبعيد عن الخطأ، (فقيمة الدين إذن، بالنسبة إلي الفلسفة والقانون، قيمة ذاتيه) .

ويوم يستحيل الدين إلي فلسفة أو قانون ... فهناك مكان لعودته إلي دين مجرد عن الفلسفة والقانون طالما مصدره الأصيل مصون عن التحريف والتبديل... وعندئذ تبقي له قميته الذاتيه كدين، ومعني ذلك أن الخطر الذي يلحق الدين بصنعة الإنسان، يمكن أن يبعد عمد بإبعاد تلك الصنعه عن ان تأخذ قداسته وعصمته و أصوله ..

وهناك شئ آخر، وراء عصمة الوحي في الدين و وراء (عدم محدوديه الله في رسالته للبشر) مما يتميز به الدين عن الفلسفة والقانون .

هناك في الدين أيضاً (ضمير الإنسان الذي ينشأ عن الخشية من الله) ، وهو بمثابة السلطة التنفيذيه للقانون ... ولكنها سلطة تنفيذيه ذاتيه، وليست خارجه عن ذات الإنسان صاحب الضمير الديني.

أما المتبع للقانون فإنه يتبعه لسلطان الدولة المشرفة علي تنفيذه ... وعندئذ إذا خفت رقابة الدولة زال أثر القانون، وانكمش وجوده بالتالي. وهنا في دائرة القانون يحتاج الأمر إلي شيئين معاً: إلي نص القانون، والسلطة التنفيذيه، بينما في دائرة الدين يتوقف الأمر كله علي الإنسان المعتقد وحده .

أما الفلسفة فلأنها لا تصحب برقابة خارجية، ولا تكون ضميراً ورقابة داخليه، فنشأنها في الحياة العملية أهون من القانون وأخف ... ومن ثم تكون أشد هواناً في مواجهة الدين .

هذا حديث عن الدين، والفلسفة، والقانون في حياة الإنسان بوجه عام... ومنه يتبين أن الدين له مكانته الأولي في حياة الإنسان، وفي توجيهه ... إنه مصدر توجيه لا يخضع لنقص (التحديد) ولا لاحتمال (الخطأ) ولا إلي وجود سلطة تنفيذيه، ورقابتها المباشرة، ولذلك يقول الشيخ محمد عبده : (فالناس متفقون علي أن من الأعمال ما هو نافع، ومنها ما هو ضار،

وبعبارة آخري منها ما هو حسن، ومنها ما هو قبيح ... ومن عقلائهم، وأهل النظر الصحيح والمزاج المعتدال فيهم، من يمكنه إصابه وجه الحق في معرفة ذلك، ومتفقون كذلك علي أن الحسن ما كان أدوم فائدة، وإن كان مؤلماً في الحال، وأن القبيح ما جر إلي فساد في النظام الخاص بالشخص، أو الشامل له ولمن يتصل به، وإن عظمت لذته الحاضرة... ولكنهم يختلفون في النظر إلي كل عمل بعينه، اختلافهم في أمزجتهم، وسجيتهم ومناشئهم، وجميع ما يكتنف بهم ... فلذلك ضربوا إلي الشر في كل وجه ، وكل ما يظن أنه: إنما يطلب نافعاً ... فالعقل البشري وحده، ليس في استطاعته أن يبلغ لصاحبه ما فيه سعادته في هذه الناحية.

(لهذا كله كان العقل البشري محتاجاً في قيادة القوة الإدراكيه، والبدنيه، إلي ما هو خير له في الحياتين ... إلي معين ... وذلك المعين هو النبي).

ويقول كذلك في شأن الأمم :

" العقل وحده - في القانون - لا يستقل بالوصول إلي ما فيه سعادة الأمم، بدون مرشد إلهي ... كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها، بل لابد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلاً ...كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه علي العقل من وسائل السعادات... والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة، وتصريفها فيما منحت لأجله، والإذعان لما تكشف له من معتقدات، وحدوث أعمال "

فضل الإسلام كدين:

فإذا انتقل الحديث بعد ذلك من الدين عامة إلي الإسلام، فضرورة الدين في حياة الإنسان ستكون أشد وأقوي ... إذ الإسلام - كما يعرف من القرآن والسنه الصحيحة - يتضمن العقيدة والإيمان، كما يتضمن التشريع، للتهذيب والمعاملات.

وكل هذه الأنواع ليس بعضها متولداً عن بعض، بصنعه الإنسان، وإنما كلها وحي منزل ... وكلها مجتمعه تهدف إلي غاية واحدة : إلي التوازن، إلي الإستقامة، إلي (الإعتدال) .

1- في العقيدة :

(فعقيدة التوحيد هي المثل للتوازن ، والاستقامة، والاعتدال): إذ كون المعبود واحداً، كعقيدة، يوحي بان الوحدة منشودة، وهي الغاية الأخيرة في الإسلام، وفي هذا يقول الشيخ محمد عبدة : " أما اعتقاد الجميع بإله واحد فهو توحيد لمنازع النفوس إلي سلطان واحد، يخضع الجميع لحكمه، وفي ذلك أخوتهم، وقاعدة سعادتهم، وإليها مآلهم فيما اعتقدوا وإن طال الزمن.

أ- وهي بدورها توحيد بالوحدة في ذات الإنسان .

ب- وبالوحدة في علاقة الإنسان بالإنسان : في الأسرة، والمجتمع، وفي مجتمع إسلامي مجتمع آخر.

وللوحدة في ذات الإنسان منهج مرسوم ... وتشريع التهذيب أو العبادات هو سبيل وحدة الإنسان، وللوحدة في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات منهج مرسوم كذلك ... وتشريع المعاملات هو سبيل وحدة العلاقات:

يقول الله لرسوله الكريم:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1(اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)) (الإخلاص:1إلي4)

ومعني ذلك: الله المعبود واحد ، وهو الرب والسيد، و وحدته وحده خالصة فلم يأت عن طريق غيرة (فلم يولد) ولم يكن غير عنه يشبهه ، (فلم يلد) ولذا فليس هناك معادل له في الوجود (فلم يكن له كفوا احد) .

وبهذه السورة القصيرة تحددت وحدانيه الله، بالوحدانيه الخالصة عن المثل والشبيه، ثم لأن المعبود هو من يتجه إليه الإنسان في حياته - كانت هذه الوحدة الخالصة هي غايه الإنسان في سعيه في الحياة وفي سلوكه فيها.

علي الإنسان إذن أن يحمل نفسه علي الوحدة، وعليه أن يسلك طبقاً لهذه الوحدة التي تحققت بسعيه ... فإن لم يسع نحو هذه الوحدة، لم يدرك في عبادته وحده الله جل شأنه ... وإن سلم سلوكا متضارباً في حياته ، كان تضاربه في سلوكه أمارة علي أنه لم يحقق الوحدة في نفسه .

وكذلك الشأن في علاقته بغيرة ... وعليه أن يسعي لتقريب (الإثنينية) بين نفسه وغيره، إلي وحدة، أو إلي ما يقرب إلي الوحدة علي سبيل الحقيقة .

وكذلك سلوكه مع غيره يجب أن ينبئ عن هذا التقريب بين (إثنينيه) نفسه مع غيره .

فإن لم يسع في دائرة العلاقات مع غيره نحو تقريب هذه العلاقات نحو الوحدة، لم يدرك في سعيه في هذه الدائرة وحدة الله تعالي وإن سلك سلوكا متضارباً فيها، كان تضاربه في هذا السلوك أمارة علي أنه لم يصل إلي ما يقرب من الوحدة في علاقته بغيره .

وإذن هدف العبادات في الإسلام تحصيل الوحده في ذات الإنسان وجعل السلوك طبقاً لها ... وهدف المعاملات في الإسلام مخاولة تقريب العلاقات بين (الإثنين) إلي وحدة، وتكوين السلوك وفقاً لهذا التقريب .

2- في العبادات

والإنسان بحكم تكوينه موزع بين أمرين متقابلين وهو لذلك له اتجاهان في الحياه: أحد هذين الاتجاهين يصدر عن النفس الأمارة بالسوء، والاتجاه الأول يصدر عن النفس الأمارة بالسوء، والاتجاه الثاني يصدر عن النفس المطمئنه ، أما النفس الأمارة بالسوء فهي التي تميل بالإنسان إلي أن يكون صاحب غرض وهوي، وصاحب شهوة خاصة، ... وأما النفس الأخري المطمئنة فهي التي تميل بالإنسان إلي أن يكون صاحب (عدل) توازن واستقامة، (وجاء الإسلام بالعبادات: جاء بالصلاه، و الزكاه، والصوم، والحج، كي يكون الإنسان صاحب اتجاه واحد، كي يكون صاحب نفس مطمئنه راضيه، كي يكون صاحب توازن، وعدل، واستقامة).

* * *

جاء الإسلام (بالصلاة) - وهي أن يتجه الإنسان في خشوع نحو الله ونحو جلاله، وأن يناجي هذا الجلال بقوله : الله أكبر- ليحصل في الإنسان قيمة الوجود كله وقيمته عندئذ: أن شيئا واحداً فيه كله له العظمة والجلال، وأن ما عداه تضمحل قيمته وتضاءل ... فإذا ثبتت هذه القيمة في نفس المصلي، بعد أن يدرك هذه القيمة، أن تميل نفسه وتحرضة علي تحصيل شئ في الوجود دون الله، وليست النفس الأماره بالسوء، إلا تلك النفس التي تخضع الإنسان إلي غير الله في الوجود، وهي لا تبعد عندئذ عن الشيطان ، في الهدف والغايه.

وإذن (الصلاة) عبادة قصد بها أن تكون نفس المصلي نفساً مطمئنه، وقصد بها أن يكون الإنسان صاحب إتجاه واحد، وعندئذ تتحقق وحدة الإنسان ، ويرتفع فوق التردد بين النفسين .

وجاء الإسلام (بالزكاه) ليسعي المزكي عن طريق زكاته، كعبادة فيها قربي إلي الله، نحو اتجاه المعطي المانح ... وبذلك يكبت الإتجاه الآخر في الإنسان وهو اتجاه الاستيلاء، والطمع، والجشع ... وهنا أيضاً تكون الزكاة عبادة لتحصيل وحدة الإنسان، بدلاً من توزيعه وترددة، أو بدلاً من أن يتردي في ذلك الاتجاه الآخر، الذي يبعده عن السمو والتشبيه بالله في منحه وعطائه، وهو اتجاه التردي في الطمع والجشع .

* * *

وجاء الإسلام (بالصوم)... والصوم ليس فقط تقريراً لجلال الله والامتثال له ، وليس فقط متضمناً أيضاً عدم الحرص علي الإستيلاء والأخذ، لأنه يقوم علي الإمساك والترك - هو ليس فقط هذا وذاك، وإنما هو كبت لذات الإنسان، وحرمان لهذه

الذات، طواعية لامتثال أمر الله ، والحرمان فيه أكثر من المنح والعطاء... كما في الزكاه؛ لأن المانح والمعطي لا يستلزم أن يحرم ذاته، ولكن إذا حرم ذاته تجاوز عندئذ حد المانع المعطي.

وإذن عبادة (الصوم) فيها امتثال لله، وذلك إقرار بوجوده وبقيمته للاستيلاء وهو الحرمان ... والاستيلاء أخذ، والحرمان ترك، والصوم لذلك خطوة أخري في توجيه الإنسان وسعيه نحو وحدة ذاته، نحو تحصيل النفس المطمئنة، التي لا تخضع لما عدا السمو، والتشبيه .

وجاء الإسلام (بالحج) وفي الحج عود بالإنسان إلي حالته الطبيعية، فيما ترك، وفيما منح معاً، فيه ترك للمظاهر الزائدة علي الطبيعه الإنسانيه، وفيه منح عن طريق الأضحية... وبذلك تصب عبادة الحج في نفس الغاية التي تهدف إليها عبادات: الصلاة، الزكاه، والصوم.

* * *

فإذا تحقق للإنسان إتجاه واحد، كان سلوكه سلوكاً متزناً مستقيماً معتدلاً ؛ لأنه لا يتأرجح عندئذ بين شيئين مقابلين... ر يلبس اليوم وجهاً، وغداً، وجهاً آخر، فهو مستقيم إذا ولا يفعل اليوم هذا، ويفعل نقيضه غداً، فهو متزن إذن، ولا يخضع الآن يمنة ثم في آونة آخري يجنح يسرة فهو معتدل إذن، وإعتداله واتزانه واستقامته، تدل علي أنه أصبح واحداً وبذلك تأثر في حياته بعبادته لله الواحد، وأمارة الإعتدال، والاتزان والاستقامة في السلوك والتصرف أن يكون مصداقاً لقوله تعالي :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

(القصص:77)

فإذا سار الإنسان في سلوكه وفق وصايا الآية القرآنية فإنه لاشك يكون معتدلاً ومتزناً ومستقيماً.

فإذا سعي الإنسان في حياته لأخذ نصيبه من الدنيا - لا لأخذ الدنيا كلها - وفي الوقت نفسه قصد وجه الله فيما حصله من الدنيا، فأحسن إلي غيره كما أحسن الله إليه، ولم يقصد إلي العبث والفساد فيما تفضل الله به عليه، كان معتدلاً متزناً ومستقيماً ... لم يتواكل، فحصل حظه من نعم الحياه، ولم يغتر ويفرح بما حصله من هذه النعم، فلم يتخذ هذه النعم وسيله للعبث في حياته الخاصة وحياة جماعته العامه، لم يرتمب إثماً ولا محرماً، لم ينتهك عرضاً ولا حرمة لغيره عن طريق هذه النعم، ثم مع ذلك لم يحرم من هذه النعم مستحقاً غيره فيها ... لم يحرم ذا قرابة، وذا جوار، وذا متربة، وصاحب حاجة – إنه عندئذ متزن في تصرفة، ومعتدل في سلوكه، ومستقيم في اتباعه طريق الله و وصاياه

3- في المعاملات :

والإنسان مع إنسان آخر ، بمثابة الإنسان الفرد المردد بين اتجاهين متقابلين: اتجاه النفس المطمئنة واتجاه النفس الأمارة بالسوء ... فكذلك الإنسان مع الإنسان، هذا له اتجاه، وذاك له اتجاه آخر، هذا له عادات وآمال، وذاك له عادات وآمال، وهذا نشأ تنشئه خاصة، وذاك نشأ تنشئة مغايرة، فإذا كثر عدد أفراد الناس تعددت وجوة المغايرة بينها، وكثرت ضروب المفارقة والمقابلة.

الجماعه العامه

وعلي نحو ما أراد الإسلام للإنسان الفرد من وحدة إتجاه في سعيه وسلوكه - أراد للكثرة العديدة من الناس - وهي الجماعه - نفس الغايه، ونفس السبيل... أراد لها أن تكون أمة واحدة، وأن يكون سعيها لذات الهدفأو الغايه وهي أن تكون أمة

واحدة، وأن يكون سعيها لذات الهدف أو الغاية، وهي أن تكون أمة واحدة، وما شرع باسم المعاملات هو السبيل لتحقيق هذا الهدف.

إن وحدة الجماعه والأمة لا تتوقف - فحسب - علي الأسباب التي تحيط بأفرادها بحكم البيئة، أو المواطن، أو إمكانيات العيش ... بل لابد في تحقيق وجود أيه جماعيه، وجوداً قوياً ظاهراً، من وحدة الغاية والهدف؛ لأن (وحدة الغاية هي المركز الذي يتجمع الأفراد حوله، ويتكتلون من آجله، وتشتد الروابط إلي أخوة النفس و الروح، بعد التقاء علي الفكرة والمبدأ).

(والقرآن الكريم - فيما أوصي به من أخلاق للجماعة - لم يوص إلا بعد أن حدد الغاية للجماعة التي يريدها، والتي عمل علي تكوينها، و وصاياه هنا بعد ذلك لحفظ توازن هذه الجماعه)، وبالتالي لحفظ علاقات الأفراد فيها من التفكك والتلاشي.

والغاية التي حددها القرآن لجماعتها هي (عبادة الله وحده) يقول الله جل شأنه في كتابه الكريم:

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) (النساء :36)

ويقول

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) (الزمر :11)

ويقول

(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)) (الأنعام 102 و 103)

ويقول

(إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء: 92)

والإسلام إذ يحدد غاية الجماعة بعبادة الله وحده يدفع أفرادها إلي الشعور بالكرامة والسير في الحياة دون عائق من أوهام الوثنيه في أي صورة من صورها، والشعور بالكرامة والانطلاق في الحياة من قيود الخرافة والشعوذة، واقتحام الصعاب فيها، دون انتظار لوضع خاص لكوكب من الكواكب كما كانت عادة العرب قبل الإسلام، و دون إذن وصي أو سيد، كما هي عادة العبيد و الأرقاء ... كل هذا مظهر لبعادة الله وحده.

وأصحاب هذا الشعور، أولئك الذين انطلقت نفوسهم من قيود الخرافة، والشعوذة، والوثنية في صورها المختلفة، من عبادة الأحجار إلي عبادة الأشخاص - يضيفون إلي قوتهم، كأصحاب سعي وحركة، قوة توجيه ويقظة وهم، لهذا وذاك، لابد أن ينجحوا إذا كافحوا، ولا بد أن ينتصروا إذا خاصموا.

* * *

ولكيلا يدخل عامل يضعف علاقات هؤلاء الأفراد في الجماعة، فتتجه نظرتهم إلي هذه العلاقات بعد أن ارتفعت نظرتهم جميعاً إلي الله وحده سبحانه ... وكذلك يتجه كفاحهم إلي صلات بعضهم ببعض، بعد أن تركزت فيما وراء أشخاصهم وذواتهم - لأجل هذا أوصي القرآن الكريم بما يحفظ قوة هذه العلاقات، وبما يديم نظرة الأفراد إلي الله، وبما يوجه كفاحهم لصالح أنفسهم كجماعة تريد السيادة لأجيالها المتتابعة جيلاً بعد جيل.

أولاً : (أوصي القرآن باحتفاظ الجماعة بسيادتها) وذلك بالأ يكون لأفرادها ولاء لغير بعضهم بعضاً، أي لا يكون للدخيل بينهم طاعة عليهم، ولا يرقي هذا الدخيل في نفوسهم درجة أن تكون له وصاية، أو إلي أن يعد مرجعاً في إبرام شئونهم يقول الله تعالي:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة : 71)

فعلل الله سبحانه وتعالي تفضيل ولاية المؤمنين بعضهم علي بعض، وبالتالي إبعاد ولايه الأجنبي عليهم، بالاشتراك في خصائص وصفات، هي مقومات الجماعه الإسلامية، بالإشتراك في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله ... و ولاية أجنبي عليهم ستذهب بهذه الخصائص، وبالتالي ستذهب بشخصية الجماعة الإسلامية، فيومئذ لا يكون لها وجود، كجماعة إسلامية ... لأن هذا الأجنبي الذي يتولي أمرها لا يشاركهم في هذه الخصائص، ولذا لا يقرها، وربما يعاديها ويعمل علي إفنائها.

يوصي القرآن بذلك إن قبلت ولاية الأجنبي و وصايته ابتعدت الجماعة عن الهدف والغاية التي اجتمعت حولها من قبل، وأصبحت أفراداً فقط مختلفي النزعة والغرض، لا جامع يجمعهم ولا رابط يؤكد الصلات بينهم.

ثانياً: (أوصي القرآن كذلك - بعد إحاطة الجماعة الإسلامية بهذا السور الخارجي، وهو إبعاد ولاية الأجنبي عليهم - بإتباع سبيل (العدل) في الحكم بين الناس)، فيقول:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء :85)

يوصي القرآن بالعدل في القضاء والفصل بين الناس، لأن أساس الاطمئنان بين الأفراد علي أنهم سواء في ظل الجماعة ... و أن الجماعة لذلك ليست حزباً تفصل بين فريق موالٍ وفريق مخاصم، بل هي رعاية عامة، وهذا الإطمئنان بالمساواة في العدل يوحي بدورة إلي تمسك مؤازرتها ضد عدوها الخارجي .

ثالثاً: (أوصي القرآن بالتريث في قبول الأخبار المغرضة، وفحص شائعات السوء) يقول الله تعالي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)

(الحجرات :6)

أوصي القرآن بذلك للإبقاء علي العلاقات سليمة صافية، فإن سرعة التصديق للأخبار والشائعات المغرضة - سواء فيما يتصل بفرد وفرد، أو بأسرة وأسرة، أو فيما يتصل بالأفراد والحكومة - لا تقف عند حد تمزيق وحدة الجماعة، بل من شأن هذه السرعه أن تثير فتنة قد تنتهي بخصومة عنيفه بين أبناء الجماعة، بل من شأن هذه السرعه أن تثير فتنه قد تنتهي بخصومة عنيفة بين أبناء الجماعة، وبذلك تتحول الجماعة إلي طوائف متبادلة القصد والسعي ... وعندئذ تصير إلي فنائها، كجماعة.

رابعاً: (أوصي بعدم استغلال الضعيف ... أوصي بعدم إستغلال اليتيم، ومن علي شاكلته كالأجير، والخادم وممن عليه رياسة بوجهه ما) يقول الله تعالي:

(وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)

(النساء : 2)

ولفظ الآية وإن كان نصاً في طلب تسليم أموال اليتامي القصر إليهم بعد بلوغ الرشد ، بدون مماطلة ... لكنه يتجاوز ذلك إلي طلب تسليم الحقوق إلي أصحابها، الذين لهم وضع يشبه وضع اليتيم من الوصي عليه ... فصحاب الرياسة مطالب بتسليم حقوق زوجته و أولادة إليهم، وهكذا ... ثم يصف سبحانه وتعالي إمساك تسليم الحقوق إلي أصحابها الضعاف باستبدال الخبيث بالطيب، أي بترك الطيب وأخذ الخبيث بدلاً منه، ثم يصفه كذلك بأنه أكل، ثم بأنه علي ظلم، ثم بأنه ظلم غير عادي، بل هو ظلم كبير.

أوصي القرآن بذلك، لأ إستغلال القوي الضعيف يدل علي أن الجماعه التي جمعت القوي الضعيف علي هذا الوضع، ليست إلا وسيلة لتحقيق الأغراض الخاصة وليست رعاية عامة لحقوق كل فرد منها ... وإنما وجدت الجماعة للترابط في وحدة واحدة، والتعلق بهدف واحد، والاحتكام إلي ميزان واحد، هو العدل والتوازن.

خامسا : (أوصي الإسلام بتقريب الفروق بين الأفراد، حتي لا يشعر الفقير بحرمانه، ولا المريض بعجزه، ولا الجاهل بحمقة، وسوء تصرفة، ولا الصغير بضعفة وحداثة عهده، ولا الشيخ بوهن شيخوخته).

فأوصي صاحب الثروة بالإنفاق، وصاحب الصحة بالمعاونه، وصاحب المعرفة، بالتوجيه، والكبير برحمه الصغير، والصغير بتوجيه الكبير ... أوصي بذلك وبمثله، ولكنه شدد كثيراً في طلب بذل المال والإحسان لصاحب الحاجة من ذوي اليسار؛ وذلك لأن المال - من جانب - من شأنه أن يغري صاحبة علي عدم الإنفاق ... كما أن الحرمان من ا لمال - من جانب آخر - من شأنه أن يثير القلق النفسي، والحسد والبغضاء في نفوس المحرومين ضد غيرهم من الموسرين يقول الله تعالي :

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد :22)

ويقول

(أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (القصص : 54)

والإنفاق هنا ليس الزكاه ... وإنما هو إعطاء، وراء فريضة الزكاه، سراً أو علانيه، وقد ربط الله سبحانه هنا بين الصفات التي تدعو إلي التحمل من صاحبها في سبيل إستقامه الأمور، وعلاج المشكلات، وإقامة الصلاة التي من شأنها أن تمسك المصلي عن الفحشاء والمنكر، والإنفاق في سبيل الخير وسبيل الله، وإبعاد السيئة عن طريق الحسنة - كلها خصائص تبعد الأزمات وتسد طريق الشر، ولكنها تتطلب الإحتمال وضبط النفس.

أوصي القرآن بهذا كله، وبغيرة مما يتصل بشأن الجماعة العامة، هي الأمة، قاصداً أن يبقي علي التكتل والتجمع، وأن يحول دون العوامل المخربة ... والعوامل المخربة ترجع جميعاً إلي إختلال العدل، أو اختلال التعادل والتوازن في الجماعة، فالولاء للأجنبي، والتحيز في الفصل بين الناس، والمسارعة في قبول الوشايات، واستغلال القوي الضعيف، وعدم تقرب الغني لصاحب الحاجة : صاحب المال من الفقير، وصاحب المعرفة من الجاهل، والسليم من المريض، إلي غير ذلك - كل هذه أمور تؤدي إلي اختلال في توازن الجماعة لا محالة ... فرسالة القرآن للجماعة العامة هي رسالة توازن وتعادل ، كرسالته للفرد نفسه التي هي توازن وتعادل بين القوتين اللتين من شأنها السيطرة عليه.

الأسرة

تلك هي وصايا القرآن الكريم للجماعة العامة ... فإذا انتقلنا في نطاق هذه الجماعة إلي الأسرة الصغيرة وجدنا وصايا القرآن نفسه إلي هذه الأسرة لا تخرج عن الهدف والغاية التي حددها للجماعة العامة، كما حددها من قبل للفرد الواحد، وهي رساله العدل، والتوازن، والإستقامة.

بين الزوجين

فأخلاق القرآن للزوجين في الأسرة هي مجموع:

أ- أخلاق القرآن للفرد نحو نفسه.

ب- وأخلاقة للفرد نحو مجتمعه .

ج- وأخلاقة للفرد، كزوج أو كزوجة ، بالنسبة للطرف الآخر.

إذا الزواج اجتماع بين فردين، هو تزاوج يجب أن يكون هدفه الإنسجام ... حتي يبدو أن تصرف كل واحد من الزوجين نحو الآخر تصرف ناشئ عن فرد واحد، ولغاية واحدة، وفي طريق واحد.

وهذا الحال درجة في السلوك والمعاملة تفوق درجة سلوك الفرد نحو مجتمعه علي العموم، ويقول الله تعالي :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

(الروم:21)

ويقول:

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)

(الأعراف:189)

(فجعلت هاتان الآيتان غاية الزواج : أن يسكن كل من الزوجين إلي الآخر ويطمئن إليه، ويستريح لوجودة معه ... ولا تكون حالة السكن هذه، وحالة الاطمئنان والراحة في اجتماع فرد بآخر، إلا إذا كان هناك انسجام بينهما، واقترب كل منهما نحو الآخر بسلوكه وطريقه في الحياة.

الدين في جوهرة دعوة إلي التقدم

كي نصل إلي أن الدين في جوهره دعوة الي (التقدم) يجب أن نتفق جميعا علي معني (التقدم) ...(إن التقدم الذي نعنيه هنا هو التقدم في الإنسانيه) ، وكذلك ما يقال علي (التخلف) يجب أن يكون تخلفا في الانسانيه كذلك.

ومعني التقدم في الإنسانيه (أن يسير الإنسان في نموة الانساني نمواً طبيعياً ، بحيث يصل في هذا النمو الي المرحله التي تصور تصويراً واضحاً خصائص الإنسانيه في الإنسان ...) يجب أن يسير من الطفوله البشرية إلي فترة المراهقه ، ثم إلي فتره الرشد الإنساني ... فإذا جمد في مرحله الطفوله ، ولم ينتقل منها إلي مرحله المراهقه ثم إلي مرحله الرشد ، أو انتقل من مرحله الطفوله وبقي جامداً لا يتحرك في مرحله المراهقة – كان متخلفا ... وذلك علي نحو نموة في الجانب البدني ، وخصائص الجسم البشري ... فهو إن نما بدنياً في طوله وفي خصائص الجسم، و وصل في هذا النمو إلي الصورة المعتاده لجسم الإنسان كان نموه في هذا الجانب نمواً طبيعياً، واذا بقي في المرحله الأولي من النمو البدني ولم يتجاوزها حتي يصل إلي المرحله الأخيرة فيكون متخلفاً في خصائص الجسم البشري .

وهنا يبقي في تفكيرة ، وفي إدراكه ، وفي سلوكه، في دائره الطفوله البشرية... يكون كالقزم الذي بقي في المرحله الأولي من مراحل النمو البدني للإنسان .

(وإذا كان التقدم البشري هو وصول الإنسان في الخصائص الفكرية والوجدانية والسلوكية إلي مرحلة المراهقة - فالإسلام كما يصوره القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة عبارة عن جملة من المبادئ في حياة الإنسان المؤمن بها تطبيقاً عملياً واضحاً لسار الإنسان في نموه حتماً إلي المرحلة الأخيرة من الاكتمال الإنساني وهي مرحلة التقدم).

مبادئ الإسلام في جملتها تركز علي الجانب الإجتماعي في لإنسان :

1- تركز علي التوعيه (بعلاقه الإنسان بالإنسان) .
2- ثم علي تحويل الوعي إلي (سلوك عملي يباشره كل منهما في علاقته بالآخر).

إن الإسلام بدعوته يريد للإنسان ألا يبقي أنانياً ، إذ بقاؤه أنانياً هو بقاؤه في مرحله الطفوله البشرية ... يريد له أن يكون إجتماعياً، إذا صيرورته إلي كائن إجتماعي يجعله ذا رشد في إنسانيته .

إن دعوه الإسلام (محاولة لنقل الإنسان من دائرة التصرف الغريزي إلي دائرة التصرف الإنساني ..) والغريزة تدعوا دائماً إلي الإحتفاظ بالذات والحرص علي الذات، وتركيز النظرة في محيط الذات – بينما التصرف الإنساني هو تصرف يمتد إلي ما وراء الذات، ويخرج بالنظرة من محيط الذات إلي محيط الأفراد .

واذن فالمجتمع في قيامه ، وفي بنائه وفي بقائه سليماً قويا ... هو غاية الدعوة الإسلامية، فإن دعا الإسلام إلي الإحتفاظ بالحرمات، ونفر من الإعتداء علي ما للأفراد من نفس ومال وغرض ... فإنما يدعو إلي النظرة الإجتماعيه والتخلص من النظرة الفرديه، وهي تلك النظره التي تتصل بالذات وحدها دون غيرها .

وإن دعا الإسلام إلي وجوب الرعاية، وإلي أن كل فرد في المجتمع راع وأنه مسئول عن رعيته - فإنما ينمي بهذه الدعوة علاقة الترابط بين الأفراد - وينقل نظرة بعضهم إلي بعض من تلك الدائرة الضيقة، وهي دائرة الذات وحدها، إلي الدائرة الواسعة التي تحيط بالأفراد جميعاً.

وإن دعا الإسلام إلي التهذيب في المعاملة والإحسان في السلوك - فإنما يريد بدعوته هذه أن يبقي علي النظرة الذاتية المنبثقة عن الغريزة والاحتفاظ بالذات وحدها .

الإسلام مصدر رئيسي في بناء الحضاره وتقدمها

انتهي بنا الحديث الآن عن الدين في صلته بالحضاره البشرية – وعن الإسلام بوجه خاص – إلي أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه، فيما يتعلق بتوجيه الفكر والوجدان و الإرادة في الإنسان ، له صلة وثيقة بالحضاره الإنسانيه في بنائها والإسهام فيها والحفاظ عليها .

انتهي بنا الحديث إلي أن الحضاره الإنسانيه ليست إلا حصيله الإنتاج البشري في الفلسفه والقانون والدوله وأنظمة المجتمع والفن و الأدب و الأخلاق والسلوك، وأنه كلما كانت هذه الضروب و الأنواع من الإنتاج الإنساني في تعبيرها مجرده عن الهوي، وبعيده عن الإنحراف والتحيز كانت أدخل في بناء الحضاره في تنميهتها.

كما انتهي بنا الحديث أيضا إلي أن عنايه الإنسان في عباداته وفي معاملاته قصد إلي تجنيب الإنسان الانحراف في خصائصه : إن في الوجدان، وإن في السلوك والعمل في الحياة .

وبهذا كله يعتبر الإسلام مصدراً رئيسياً في الحضاره البشرية وأنه دين حضاري ... علي معني أنه يوجه الإنسان للإنتاج في مجالات الحضاره المختلفة إنتاجاً صافياً معبراً أوضح تعبير عن مظاهر هذه الحضاره .

والإنسان المستقيم في تفكيره ، وفي عواطفة، وفي سلوكه، حتماً سيكون إنساناً يبغي الخير وحده في تجاربه العلمية وفي حصيله هذه التجارب وفي استخدام هذه الحصيله .

كي نصل إلي أن الدين في جوهره دعوة الي (التقدم) يجب أن نتفق جميعا علي معني (التقدم) ...(إن التقدم الذي نعنيه هنا هو التقدم في الإنسانيه) ، وكذلك ما يقال علي (التخلف) يجب أن يكون تخلفا في الانسانيه كذلك.

ومعني التقدم في الإنسانيه (أن يسير الإنسان في نموة الانساني نمواً طبيعياً ، بحيث يصل في هذا النمو الي المرحله التي تصور تصويراً واضحاً خصائص الإنسانيه في الإنسان ...) يجب أن يسير من الطفوله البشرية إلي فترة المراهقه ، ثم إلي فتره الرشد الإنساني ... فإذا جمد في مرحله الطفوله ، ولم ينتقل منها إلي مرحله المراهقه ثم إلي مرحله الرشد ، أو انتقل من مرحله الطفوله وبقي جامداً لا يتحرك في مرحله المراهقة – كان متخلفا ... وذلك علي نحو نموة في الجانب البدني ، وخصائص الجسم البشري ... فهو إن نما بدنياً في طوله وفي خصائص الجسم، و وصل في هذا النمو إلي الصورة المعتاده لجسم الإنسان كان نموه في هذا الجانب نمواً طبيعياً، واذا بقي في المرحله الأولي من النمو البدني ولم يتجاوزها حتي يصل إلي المرحله الأخيرة فيكون متخلفاً في خصائص الجسم البشري .

وهنا يبقي في تفكيرة ، وفي إدراكه ، وفي سلوكه، في دائره الطفوله البشرية... يكون كالقزم الذي بقي في المرحله الأولي من مراحل النمو البدني للإنسان .

مبادئ الإسلام في جملتها تركز علي الجانب الإجتماعي في لإنسان :

1- تركز علي التوعيه (بعلاقه الإنسان بالإنسان) .

2- ثم علي تحويل الوعي إلي (سلوك عملي يباشره كل منهما في علاقته بالآخر).

الـخـــــاتـمـــه

- **الإنتصار للمثل العليا**

- ليس التاريخ، سوي رواية للحوادث التي قام بها البشر انتصارا لمثل عليا، فلولا تأثير تلك المثل لرسخت البداوة ودامت وبقي الانسان في دور الهمجية وما تمدنت امم الكون ابدا، والأمم بعد أن يعلو شأنها قد يبدأ دور انحدارها حينما تصبح عاطلة من مثل عال ، تستمد منه حيويتها ، ويوقف كل واحد من ابنائها نفسه عليه ، وليرحم الله الشاعر ابو الفدا الرندي القائل :

لكل شئ إذا ما تم نقصان فلا يغتر بطيب العيش إنسان

- ولم تكن جزيرة العرب قبل الاسلام سوي ميدان قتال تاريخي واسع ، لما تأصل في العرب من طباع القتال الضاري ، وخير مثال لذلك حرب البسوس التي قامت بين أبناء العم (بني بكر وبني تغلب) من قبائل وائل بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، لتستمر أربعين عاما دون أن يخمد أوارها ، إلا بعد أن هلك الضرع و النسل والشباب القادرون علي القتال .

- فلما ظهر الإسلام ألف بين تلك القلوب المتناحرة ووجها ووجهها خارج الجزيرة ، فكانت طبائعهم القتاليه خيرا عليهم ، فدانت لهم أمم الشرق والغرب بين انتصاراتهم المدوية.

- فلما عدم العرب من يحسن توجيه طاقاتهم القتاليه إلي اعدائهم ، صوبوا أسلحتهم نحو بعضهم البعض ، بفعل الصفات القتاليه المتاصله فيهم ، فبدت تلك الصفات التي كانت سبب عظمتهم واتساع رقعه فتوحاتهم ، سببا لانحدارهم وفقدانهم لما فتحوا من ديار، ينهض دليلا علي ذلك ، فقدهم لفردوس الأندلس وفقدهم لصقليه وامارتي الجنوب الايطالي .

- فلا توجد أمة في التاريخ - سوي أمة العرب - بقيت مالكة لديار أكثر من 8 قرون ثم سلبت منها كما حدث في فردوس الأندلس (897هـ - 92هـ = 805 عاما بالتقويم الهجري) ، أو بقيت مالكة لديار 3 قرون ثم سلبت منها كما حدث في صقليه والجنوب الإيطالي (484هـ - 212هـ = 272 عاما بالتقويم الهجري).

- لكنه الميل المتأصل في العرب للانقسام ، هذا إذا ما اضفنا له شراستهم في القتال كأمة عسكرية متميزة، لكن امتياز البأس الشديد لما صار بينهم ، كأن وبالا عليهم وتسبب في خروجهم بعد القرون الطوال من ديار شاسعه ، اخضعوها إخضاعا في أزمان قياسيه ، ونهضوا بها في مضمار المدينة ، وأسبغوا عليها من حضارتهم الزاهرة .

- فالعامل الذي توحدت بفضله القبائل العربية المتناحرة في الجزيرة العربية ، هو شخصية أشرف الخلق وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم) ، الذي بلغ رساله الإسلام التي وجهت طاقات العرب القتاليه خارج جزيرتهم .

- والإسلام ما زال باقيا وسيبقي ابدا الدهر ، لكن اين تلك الشخصيات العبقريه التي تملك أن توجه همم القوم وطاقاتهم إلي ما يحقق مصالحهم التي هي مصالح الأمة ، فيكفي أن يكون القدوة قويا ليمنح الأمة مشاعر واماالا مشتركة ، وايمانا متينا يدفع الافراد للتسابق في التضحيه بالنفس في سبيل انتصار الامة .

- ولقد كان العالم قبل الإسلام ، عالما متداعيا ، فقد العقيده كما فقد النظام ، فلما ظهر الإسلام الحنيف ، حافظ علي تلك الطباع القتاليه لعرب الجزيرة الذين دانو جميعا بالاسلام ، ووجهها لفتح ذلك العالم المتداعي ، فدانت لهم عاجلا امتا الفرس والروم سادة ذاك الزمان .

- ولأن الاسلام لا يكره أحد علي اعتناقه ، ولوجود الخلفاء - زمان الفتوحات - الذين يملكون العبقرية السياسية والإدارية ، هؤلاء الذين أدركوا بعبقريتهم أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا ، فعاملوا أهل الديار التي فتحوها بلطف وحكمة ، تاركين لهم قوانينهم ومعتقداتهم.

- ولم يفرضوا عليهم سوي جزية بسيطة علي القادرين علي الكسب من الرجال وحدهم ، مقابل حفظ الأمن ، فلم تعرف أمم الكون فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ، ولا دينا أكثر سماحة من دينهم

- ولقد كانت سماحة الإسلام وبساطته ، وحلم العرب وحرصهم علي الإلتزام بما أوصي به دينهم ، من الأسباب القوية لاتساع رقعه فتوحاتهم ، واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي بقيت قائمة حتي بعد زوال سلطانهم عن مسرح التاريخ

- وهذه مصر الفرعونية الحضارة خير مثال ، لم يوفق فاتحوها من الهكسوس والفرس والأغارقة والرومان والبيزنطيين ، أن يزيحوا حضارتها لتسود فيها حضاراتهم.

- هذا فضلا عن بساطة نظم العرب واستعدادهم الكامل لتطويرها لتلائم احتياجات الشعوب المفتوحة المفتوحية ، وقد يكون هذا تفسيرا لتباين النظم الاسلامية - في بلاد الهند وفارس والجزيرة العربية ومصر وغيرها - اختلافا ملحوظا مع أن الشريعه واحده .

- فالعرف في الإسلام ، ما تعارف عليه الناس ، وما دام لا يتعارض مع روح الإسلام ، فالاسلام يامر عواهل الاسلام باقراره، لقول الحق في محكم الآيات : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ)

- ولقد كانت أمم العرب التي بادت ، ذوي حضارات زاهرة ، وتشهد علي ذلك الآثار العظيمة التي تركتها حضارات قوم عاد في الأحقاف ، وقوم ثمود في الحجر ، وقوم سبأ في اليمن وغيرهم ، وصلاتهم التجارية الواسعه التي سجلها القرآن الكريم والتاريخ ، مع أمم الكون كالفراعنه والفرس والروم والهنود والصينيين .

المصادر والمراجع:

1. القرءان الكريم
2. السنة النبوية (الأحاديث الشريفة للنبي صلي الله علي وسلم)
3. الإسلام وقضايا الأمة – مهندس إبراهيم حورية – القاهرة – دار المعارف -2009
4. الدين والحضارة الشيخ محمد ابو زهرة - القاهرة -2007
5. هدية مجلة الأزهر – فضيلة الشيخ محمد الصادق ابراهيم عرجون - شعبان 1438ه – العدد 20
6. الحضارة فريضة اسلامية –الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق – شهر رجب 1438 هـ
7. هدية مجلة الأزهر – منهج – رسالة – بحث وتحقيق فضيلة الشيخ محمد الصادق ابراهيم عرجون – عميد كلية اصول الدين الأسبق العدد 12
8. رقي الحضارات وثمرة تفاعلها بين الإنسانية – القاهرة – دار السلام للنشر والتوزيع 2009
9. الحضارة الإسلامية محمود حمدي زقزوق – الإسلام وقضايا الحوار – وزارة الأوقاف المصرية 2002
10. إعلان مبادئ التعاون الدولي الثقافي ، الصادر عن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في نوفمبر 1996